الإثبات بالنفي والاستثناء في القرآن الكريم

الباحثة
فاطمة ضياء الدين عبد الجبار
Fdeaa33@gmail.com
الأستاذ الدكتور
فالح حسن الأسدي
جامعة بابل ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية
hum.falih.hasan@uobabylon.edu.iq

Evidence by Negation and Exception in the Holy Qur'an

Researcher
Fatima Diaa El-Din
Prof. Dr.
Faleh Hassan
University of Babylon - College of Education for Human Sciences

الملخص:

يسعى البحث للتعريف بأسلوب القصر أو الحصر، في الدرس النحوي والبلاغي، سعيا لاكتشاف السمات التعبيرية التي يظهرها استعمال هذا الأسلوب في القرآن الكريم. وقد خصص البحث طريقا من طرق القصر، وهو النفي والاستثناء، يدفعنا البحث لاكتشاف إجابة محددة عن سؤال، هو مركز البحث: كيف يتم الإثبات بالنفي بوساطة الاستثناء؟ وما الدواعي اللغوية التي دفعت المتكلم إلى استعمال هذا الأسلوب وهذه الطريقة؟ ومن ثمّ محاولة تلمس الفارق التعبيري الذي يظهر في ظاهر الاستعمال القرآني لهذا الأسلوب.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الاستثناء، الإثبات بالنفي، أسلوب القصر.

Abstract:-

This paper aims at defining restriction and parenthesizing in the grammatical and rhetorical lesson in order to discover the expressive traits of this style in the holy Qur'an. This research is limited to one of the ways of restriction which is by Negation and Exception. The paper aims at answering one question: How is affirmation is proved by negation through exception? What are the linguistic reasons that pushed the speaker to use this way and this style? Then, the paper also shows the difference in expression that is apparent in the Quranic use of this style.

Keywords: The Noble Qur'an, the exception, proof by negation, the shortening method.

المقدمة:

كان وما يزال القرآن الكريم مصدرا للبحث والتنقيب عن كل ما يرفد الدرس العربي ويغنيه؛ والسبب في ذلك هو القدرة الإعجازية التي بنيَ بها النص القرآني، مما جعلنا نلتمس الإعجازية في كل مفصل من مفاصله.

ومن هذه المفاصل موضوعنا في هذا البحث، والذي يروم استجلاء السّمة التعبيرية لأسلوب من أساليب العربية، استعمل في القرآن الكريم لمقاصد وأغراض بلاغية، جعلت من هذا الأسلوب سمة بارزة في سياق استعماله القرآني، مما أضاف وفتح لنا بابا نكتشف من خلاله مدى الفائدة التي قدمها الأسلوب القرآني للغة بشكل عام.

إنّ الإثبات بالنفي تحقق في القرآن الكريم بطرق أسلوبية عدة منها التقديم والتأخير وطرائق القصر والحصر، بحثنا سيكون مخصصا لجانب من أسلوب القصر، هو (الإثبات بالنفي والاستثناء) وهو أسلوب شغل في البلاغة العربية مساحة واسعة، بيّنت فيها أن هذا الأسلوب يستعمل مع حال للمخاطب يفرض فيه السياق استعماله، فلا يظهر على لسان المتكلم بشكل اعتباطي، بل هو محفوف بقصد بلاغي، تفرضه مجموعة من المحددات النصية-اللغوية، مما يعني توافر الخصوصية التعبيرية لهذا الأسلوب، وهذا تحديدا ما يمثل مشكلة البحث أو سؤاله المركزي، والذي نسعى للإجابة عنه بقدر من البحث العلمي، يفرض علينا أنّ ينتظم البحث على محاور ثلاثة هي:

١- الإثبات بأداة النفي (لا) والاستثناء ب(إلا).

٢- الإثبات بأداة النفي (ما) والاستثناء ب(إلا).

٣- الإثبات بأداة النفي (إن) والاستثناء ب(إلا).

فضلاً عن مقدمة وخاتمة وملحق بمصادر البحث ومراجعه.

الإثبات بالنفي والاستثناء:

أسلوب الإثبات بالنفي والاستثناء هو أحد أساليب القصر أو الحصر[1] وعبارته تمنح الكلام تأكيدا وقوةً في إثبات الكلام في ذهن المخاطب ، فقولنا - في كلمة التوحيد -:(لا إله

إلا الله) فهي نفي الالوهية عمّا سواه وإثباتها لله تعالى حيث قصر الالوهية على هذا الاسم العظيم جل شأنه، ونفي الألوهية لغير الله تعالى وردت في القرآن الكريم كثيراً، ومنها قوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (البقرة:١٦٣) و﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران:٢) و﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(النساء:٨٧) و﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾(النحل:٢) و﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ﴾(الأنبياء:٨٧) و﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(الصافات:٣٥).

الاستثناء لغة: من ثني الشيء ويرجع بعضه على بعض[٢]، قال ابن منظور ((والثُّنْيا منَ الجزور: الرأس والْقوائمُ، سمِّيَتْ ثُنْيا لأَن الْبائعَ فِي الْجاهلِيَّةِ كان يَستَثْنِيها إِذا باع الْجزور فَسمِّيتْ للاستثناء الثُّنْيا.))[٣] اي استثناء الرأس والقوائم من الذبيحة.

والاستثناء اصطلاحا: هو إخراج الشيء من الشيء بأدوات مخصصة[٤]؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه ، وعليه سار جميع النحويين[٥].

وجمع ابن يعيش المعنى اللغوي والاصطلاحي في حديثه عن الاستثناء فقال: ((اعلم أنّ الاستثناء استفعالٌ، من ثَناهُ عن الأمر يَثْنيه إذا صرفه عنه، فالاستثناء صرفُ اللفظ عن عُمومه بإخراجِ المستثنى من أنّ يتناوله الأوّلُ، وحقيقتُه تخصيصُ صفةٍ عامّةٍ، فكلُّ استثناء تخصيصٌ، وليس كلُّ تخصيص استثناءً))[٦].

وقد سبقه ابن جني في ذلك في عبارة موجزة فقال: ((ومَعنى الاستثناء أَن تخرج شيئا ممَّا أدخلت فِيهِ غيره أَو تدخله فيمَا أخرجت منهُ غيره وحرفه المستولي علَيْهِ إِلَّا...))[٧] وتابعهما ابن مالك في الجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي فقال: ((وهو المخرج تحقيقا أو تقديرا من مذكور أو متروك بإلّا أو ما بمعناها بشرط الفائدة. فإن كان بعض المستثنى منه حقيقة فمتصل، وإلّا فمنفصل مقدر الوقوع بعد لكن عند البصريين، وبعد سوى عند الكوفيين.))[٨].

ومعنى ذلك إننا لو قلنا: ما قام احد إلا زيدا ، فأن الجملة تدل على إثبات القيام لزيدٍ ونفيه عن أيّ شخص آخر[٩]، وذلك أن المستثنى غير داخل في حكم المستثنى منه في المنفي والإثبات فحكمه مغاير تماماً ، وهذا ما أجمع عليه جمهور النحاة[١٠].

والناظر في تعريفات الاستثناء يلاحظ أن هنالك شيئاً أخرجته مما ادخلت فيه غيرَه ، أو أن هناك شيئاً ادخلته مما أخرجت فيه غيرَه وهذا يدل على أن هناك نفياً واثباتاً ، فإذا كان الداخل شيئاً منفياً كان الخارج مثبتاً والعكس صحيح ، قال الرماني: ((فإذا تقدم إيجابٌ؛

خرج الثاني مما دخل فيه الأول، وإذا تقدم نفيٌ؛ صار بمعنى نفي النفي، وخرج الثاني من النفي الأول إلى الإيجاب))[١١]، وعبارة الرماني الأولى سنتحدث عنها في الفصل الثاني أم العبارة الثانية وهي: (وإذا تقدم نفيٌ؛ صار بمعنى نفي النفي، وخرج الثاني من النفي الأول إلى الإيجاب) هي محل البحث في هذا الموضع ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:٩) ويلاحظ أن الله تعالى أثبت في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء المنافقين ليس بإمكانهم خداع الله تعالى وذلك أنهم لا يخدعون إلا أنفسهم ،قال الطبري: ((خادع المنافقُ ربَّه والمؤمنين فلم يخدعْ إلا نفسه... لأن الخادعَ هو الذي قد صحّت الخديعة له، ووقع منه فعلُها. فالمنافقون لم يخدَعوا غيرَ أنفسهم))[١٢].

وذكر الرازي أن الاستثناء من النفي ليس إثباتاً وضرب مثالا لذلك بقوله: ((لَا ملْكَ إِلَّا بالرِّجال ولَا رجالَ إِلَّا بالْمال، والاستثْناءُ في جُملَة هذه الصُّور لَا يُفيد أَنْ يكون الحكْم الْمستثْنى من النفْي إِثْباتا))[١٣]، ورُدَّ بأنه لو كان كذلك لبقي المستثنى من دون حكم[١٤]، والغريب أن الرازي في كتابه (المحصول) يوافق جمهور النحاة بقوله: ((الاستثناء من الإثبات نفي ومن النفي إثبات))[١٥]، ومذهب الجمهور هو الحق ويدل على ذلك كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) - كما أسلفنا الذكر- ، فهي نفي الألوهية عما سواه وإثباتها لله تعالى ولو كان الاستثناء من النفي ليس إثباتاً لما كانت هذه الكلمة توحيدا لله تعالى لعدم إثبات الالوهية لله تعالى من خلال عدم الحكم على المستثنى[١٦].

المحور الأول: الإثبات بأداة النفي (لا) والاستثناء ب (إلا)

ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة:٢٥٥).

وهذه الآية عدَّها بعض المفسرين سيدة آيات القرآن الكريم[١٧]، ومحور موضوعها أنها تتحدث عن وحدانية الله تعالى في مجتمع مشرك[١٨]، وكان لنزولها تنبيه على وحدانية الله تعالى وإفراده للناس كافة لإصلاح عقائدهم التي فسدت وإتباع الحقيقة الصحيحة وطرح ما عداها[١٩].

فجاءت هذه الآية لنفي كلِّ إلهٍ يُعبد غير الله تعالى بقوله: (لا إله) وإثبات الالوهية لله

وحده فلا معبود سواه - إلا هو - فجاء إثبات الألوهية والوحدانية بأسلوبِ النفي والاستثناء[٢٠]، وهو الابلغ والاكمل في الإثبات قال السمرقندي: ((الإثبات إذا كان بعد النفي، فإنه يكون أبلغ في الإثبات، فلهذا قال: اللَّهُ لاَ إِلهَ إِلَّا هُوَ فبدأ بالنفي ثم استثنى الإثبات، فيكون ذلك أبلغ في الإثبات))[٢١]، وحينما تحدثت الآية عن إثبات وحدانية الله تعالى ذكرت صفاته جلَّ شأنه في أحقيته للعبادة وهي ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذه الصفات لا تتناسب لمعبود غيره سواء ادعى الألوهية مثل فرعون أم ادعاها قوم له كما ادعت النصارى أن المسيح هو الله أو هو ابن الله[٢٢]، فالحياة والديمومة تشمل الله تعالى المعبود الأحد الفرد الصمد وكل البشرية ينالها الفناء.

وربَّ سائل يسأل إذا كان المستثنى هو جزء من المستثنى منه فكيف يكون الموقف الإعرابي من (هو) ؟، وهل يُعّد جزءاً من (إله) الواردة بعد (لا) النافية للجنس؟، والجواب عن ذلك إن هذا الاستثناء منقطع وأن (هو) ليس بدلاً من (إله) وإنّمَا بدل من (الضمير المستكن في الخبر المحذوف)[٢٣]، والبدل هنا أفاد معنى الإثبات بنفي الأول وإثبات ما بعد الأداة؛ ((لأن سبيل البدل أن يجعل الأول كأنه لم يذكر والثاني في موضعه))[٢٤].

ومثلها قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ. اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر:٢٢-٢٣)، فالآية تتحدث عن معبود يستحق العبادة والطاعة وحده دون سواه؛ ولإثبات هذه الحقيقة وتأكيدها جيء بأسلوب النفي والاستثناء وهو نفي جميع الآلهة وكل من زعم ذلك وإثبات الوحدانية لله تعالى ، و لو سأل سائل: ((لم ذكر النفي قبل الإثبات؟ والجواب: لإكمال المدحة، لأن قول الرجل: لا عالم في البلد إلا فلان أمدح من قولك: فلان عالم في البلد.))[٢٥]، توظيف هذا الاسلوب أكثر قوة وشدة في تثبيت المعنى و يسبر ((الإثبات بالاستثناء آكد في آخر الأمر فالمعنى لا اله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقا))(٢٦)، وهذا يعني أن كل عبارة (لا إله إلا الله) أو (لا إله إلا هو) تعني إثبات الوحدانية وهي أوكد من غيرها[٢٧]؛ فجيء بكلمة التوحيد (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) بأسلوب النفي والاستثناء لإثبات ما جحدوا به من إشراك الله تعالى بما لا يضر ولا ينفع و ((هذه الكلمة فيها نفى ما أثبتوه بجهلهم، وإثبات ما نفوه بجحدهم))[٢٨]، إثبات الربوبية وإثبات الوحدانية لله تعالى دون

غيره فلا معبود سواه وهو يستحق العبادة لأنه رب السماوات والارض وهو الذي يحيي من يشاء ويميت من يشاء[٢٩]، ونفي الالوهية عما سواه ولو كان نفي دون إثبات لما كانت (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد لعدم ثبوت الالوهية لله تعالى[٣٠]، وتقدم النفي على الإثبات بهذه الصورة أقوى من نفي الوجود كله كقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (البقرة:١٦٣)؛ لأن قول (لا إله) تعني نفي العام الشامل وجيء ب(إلا الله) أفاد التوحيد التام المحقق[٣١].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة:٣٢) وهذه الآية تسلط الضوء على الحوار الذي دار بين الله تعالى والملائكة وقد سبق بقولهم: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة:٣٠)، وقال تعالى أيضاً: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٣٠)، فجاء الجواب سريعاً من الملائكة بإثبات حكم الله تعالى في علمه الأزلي وقصورهم وجهلهم وجاء بأسلوب النفي ب(لا) والاستثناء ب(إلا) فبهت هنالك الملائكة والتسليم لأمر الله تعالى بما جاء عن الملائكة بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

فجاء نفي العلم عنهم والرجوع إليه والتسليم والبراءة من أن يعلموا شيئاً أو أي أحد آخر(لَا عِلْمَ لَنَا) وإثباته لله عز وجل(إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) بأسلوب النفي والاستثناء ، وهذا يشمل كل من ادّعى علم الغيب من الكهنة والسحرة والمشعوذين[٣٢].

وزيادة في إثبات العلم لله تعالى وتأكيدا عليه ونفيه عنهم لما سبق هو إتباع ذلك بقولهم: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فهو العليم من غير تعليم عالم بكل شيء لا أحد سواه[٣٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة:٧٨).

جاءت هذه الآية؛ لبيان نوع من الناس وهم الأميون فهؤلاء اتبعوا رؤساءهم وعلماءهم فضلوهم الطريق ، فقد نفى الله تعالى عنهم العلم بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ وأثبت لهم الاماني[٣٤] بأسلوب النفي والاستثناء ولزيادة التأكيد على جهل هذه الفئة التابعة بدون علم وقد وظف هذا الأسلوب وأثبت لهم الاباطيل والاكاذيب التي ظنوا أنها الحق، والذي دل على أن الاماني هي الاحاديث الباطلة التي اخذوها من غير تعقل وفهم وساقتهم إلى

الضلال قال تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي يظنون بأنهم على صواب والظن ليس من الحق والعلم بشيء[٣٥]، وظنوا ان النار لن تمسهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة:٨٣).

جاءت هذه الآية تذكير بني اسرائيل بعبادة الله الواحد الاحد وتذكيرهم بالميثاق الذي أُخذ منهم من قبل ولتوبيخهم وتأنيبهم على فعلتهم، ولكنهم نسوا ذلك بعبادتهم العجل، فجاء النفي عن عبادة غير الله تعالى وإثباته له بهذا الاسلوب البليغ إلا وهو النفي والاستثناء تنبيه لهم وتذكيرهم[٣٦].

ولشدة إنكارهم وعظم فعلتهم بعبادة غيره ذكر المستثنى فعدل ((إِلَى الاسْمِ الظَّاهِرِ مِنَ الْفَخَامَةِ، وَالدَّلَالَةِ عَلَى سَائِرِ الصِّفَاتِ، وَالتَّفَرُّدِ بِالتَّسْمِيَةِ بِهِ، مَا لَيْسَ فِي الْمُضْمَرِ، وَلِأَنَّ مَا جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ، إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءٌ ظَاهِرَةٌ، فَنَاسَبَ مُجَاوَرَةُ الظَّاهِرِ الظَّاهِرَ))[٣٧].

المحور الثاني: الإثبات بأداة النفي (ما) والاستثناء ب(إلا)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران:١٢٦) ويلاحظ في الآية الكريمة أسلوب النفي ب(ما) والاستثناء ب(إلا) وقد حصرت النصر بالله تعالى فالآية تتحدث عن واقعة حيث امتلأت قلوب المسلمين على قلتهم بالفزع والرُّعب بعد أن حُصروا من قبل المشركين على كثرتهم؛ فجاءت الآية الكريمة لترفع معنويات وتأكيدا للنصر لأنه من عند الله تعالى وحصّره بإرادته تثبيتاً لقلوبهم[٣٨]، قال أبو حيان: ((حَصرَ كَينونَةَ النَّصرِ في جهته، لَا أَنَّ ذلك يكونُ من تكْثير الْمقاتلة، ولَا من إمداد الْملائكة. وذكر الْإمداد بالملائكة تقويَةً لرجاء النّصرِ لَهم، وتثْبيتا لقلُوبهم. وذكر وصف الْعزَّة وهو الْوصفُ الدَّالُّ على الغلبة، ووصْفَ الْحكمة وهو الْوصف الدَّالُّ على وضع الْأشياء مواضعها من: نصرٍ وخذلَانٍ وغيرِ ذلك))[٣٩]، ويلاحظ أيضاً أن الله تعالى ذكرَ صفتين وهما: ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ في آخرِ الآية للدلالة على أن العزة لهُ وللمؤمنين وهذا النصرُ هو من تدبير حكمته تعالى شأنهُ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤).

جاءت هذه الآية توبيخاً لبعض المسلمين بسبب عَدم ثباتهم في أحد وقد فرَّ بعض منهم لَّما سمعوا بأن رسول الله i قَد قتل ،ولَّما أخذت هذه الشائعة مأخذها في نفوسِ المسلمين وفي وقت ساعة الحربِ اقتضى الوقوف عندها وتشخيص سبب الانكسار الذي حلَّ في نفوسِ المسلمين فجاءت هذه الآية لتفصح عن حقيقة مهمة بأسلوب النفي والاستثناء لتخبر المسلمين أن الرسول بشر يناله الموتَ كما هو حال الأنبياء الأخرين(٤٠).

فتوجيه النفي بقوله تعالى: (وما محمد) إلى وصف النبي محمد دون غيره وللتركيز عليه ،كقولنا: (ما زيد) أيّ وصف زيد ذاته دون أحد آخر(٤١)، فالله تعالى وَصف النبي محمد بأنه رسول وتلك حقيقتهُ ولكنه بشراً كسائرِ الناس يناله الموت فلماذا تستعظمون نبأ موته وكأنكم تستنكرون بشريته ورسالته ؟!(٤٢)؛ فعلى الرغم من معرفتهم إنه بشر انكروا موته فكان أسلوب النفي وإثبات الرسالة لهُ أبلغَ في التعبير فيما لو قال: محمد رسول.

ويلاحظ أن القصر قد أدى المعنى نفسه إلا وهو إثبات الرسالة ونفي الخلود عنه عليه الصلاة والسلام وعلى آله فجاء الكلام على خلاف الظاهر ،وذَكرَ الألوسي أن المسلمين اعتقدوا في رسولِ الله وصفين هما: الرسالة وعدم الموت(٤٣).

ومن الناس من أنكر بشرية بعض الأنبياء لجعله إلهاً أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ،قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة:٧٥) وهذه الآية جاءت رداً على من زعم من النصارى بأن المسيح عيسى ليس بشراً فتناول الطعام هو من صفات البشر بقوله تعالى: ((كانا يَأكُلانِ الطَّعامَ)) فما هو بحاجة إلى الأكل والشراب فهو من البشر وليست من صفات الخالق(٤٤)، فجاءت الآية بالنفي وب(ما) والاستثناء ب(إلا) لتثبت أن ما يجري على الرسل يجري على سائر البشر من حاجتهم إلى الأكل والشرب و وينالهم الموت و فحاجة النبي عيسى a للأكل دليل على فساد ادعاء النصارى فالإله لا يحتاج لكل هذه المقومات البشرية هو غني عن حاجات البشر(٤٥)، وولادة النبي عيسى من غير أب كمثل آدم خلق من غير أب وأم نحو

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩)، فنفي الالوهية عن النبي عيسى وإثبات الرسالة له كسائر الرسل من قبله؛ جيء بأسلوب قوي صارم حازم للزجر واجه فيه هذا الادعاء الباطل إلا وهو أسلوب النفي والاستثناء، ولبيان وتأكيد وتثبيت فكرة نفي الربوبية عن عيسى ابن مريم لمن زعم ذلك هو ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (المائدة:٧٣) في الآيات السابقة لها، و((والمعنى: وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له، وهو اللَّه وحده لا شريك له))[٤٦].

وحقيقة الأنبياء كونهم بشراً وردَّت في آيات كثيرة من القرآن الكريم ،و الغريب أن بعض أقوام الأنبياء أقرّوا ببشرية الأنبياء(٤٧) وأنكروا رسالتهم فردّوا على رسولهم ردُّ السفهاءَ الجاهلين فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ (إبراهيم:١٠)، وكأنهم رفضوا الاعتراف بالنبوة والرسالة بدعوى أن الأنبياء ليس إلا بشراً؛ فجاء كلامهم بالنفي والاستثناء لعبروا عن حقيقة ثابتة في نفوسهم وهي إنكار نبوة الأنبياء ، ولذلك أقرَّ الأنبياء حقيقة بشريتهم؛ لثباتها وصدقها فقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (إبراهيم:١١) ، ومثله قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾(المؤمنون:٢٤/٣٣) ، فهم يؤكدون بشرية الرسل وينفون رسالاتهم ،ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ (الشعراء:١٥٤/١٨٦،يس:١٥) ، ويلاحظ إنهم يثبتوا بشرية الرسل بالنفي والاستثناء للطعن برسالتهم ،بل وصل جدالهم إلى ((أن الرسول المبعوث لا يكون بشراً إذ لا يمكنه الاتصال بالملأ الأعلى في زعمهم وإنما يكون ملكاً، انتهاء إلى نفي الرسالة ، والبقاء على الكفر وتزّيينهُ كما قال القرآن: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾(التغابن:٦)[٤٨].

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (المائدة:٩٩) وجاءت هذه الآية للتأكيد على رسالة الرسول وإثبات ما ينقله من الله تعالى إلى الناس وعليهم الطاعة وإتباع الرسول ، وكأنهُ وَعيد وتهديد من الله تعالى إلى الناس الذين يتجاهلون أحكام الله تعالى التي ينقلها رسول الله ويتغافلون عنها[٤٩] فجاء بأسلوب النفي والاستثناء، قال الزمخشري: ((ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ تشديد في إيجاب القيام بما أمر به، وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجة، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط.))[٥٠].

وإذ لاحظنا أهمية إلقاء الحجة عليهم وعدم مقبولية أعذارهم في هذا التجاهل والتغافل وارتكاب المحارم استعمل هذا الأسلوب؛ لما فيه من قوة وشدة يلفت الانتباه كل من يدعي الجهل[٥١]، ويثبت فيه للرسول الأعظم كمال إداء رسالته وإيصال الأوامر الالهية لكل الناس وتكليفهم به، وذكر الرازي هذا التكليف بقوله: ((مَا على الرَّسولِ إِلَّا البلاغ يعني أَنَّهُ كان مُكلَّفا بالتبلِيغ))[٥٢]، وعبارة كلام الرازي ((يعني أَنَّهُ كان مُكلَّفا بالتبلِيغ)) تؤكد إثبات التبليغ للرسول بأسلوب النفي والاستثناء.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية:٢٤).

وجاءت هذه الآية لدحض اعتقاد الكفار الدنيا لا تزول وأن البعث لا وجود له[٥٣]، والناظر في هذه الآية يلاحظ التتابع في استخدام أسلوب النفي والاستثناء وما يزيد الدلالة قوة وترسيخ في الذهن[٥٤]، فبدأ باعتقاد الكفار كما جاء في الذكر الحكيم عن لسانهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ لقوة وشدة وتثبيتهُ في عقولهم استخدم اسلوب النفي الاحياء بعد الموت وإثبات الحياة الدنيا فقط؛ وأثبتوا سبب الهلاك للزمن والكبر في السن ، فجاء الرَّد الإلهي بحزم وقوة لدحض هذا الاعتقاد السائر بينهم والمترسخ في الأذهان بنفي العلم ما لهم من دليل مستند إلى عقلٍ أو نقلٍ عنهم و إثبات الظن والتقليد من غير أن يكون لهم حجة على هذا المعتقد الفاسد[٥٥]، ((ومعناه: إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفا النفي والاستثناء، ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن))[٥٦].

وبهذا تتجلى أسرار توظيف هذا الأسلوب بالنظر إلى سياق ودلالات الآية الكريمة في إطار السورة الكاملة ، وطريقة القرآن الكريم في ترسيخ الفكرة إثباتها إضافة إلى اسلوب النفي والاستثناء لجذب الانتباه السامع أو المتلقي.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(البقرة:٩) البعض يعتقد أن الإيمان يعتمد على إعلان التوحيد فقط ، ونسوا من يضمر الكفر والشرك بالله تعالى خوفا على أنفسهم وممتلكاتهم فيظهرون الإيمان عند الرسول الأعظم والمؤمنين ويظهرون الكفر عند جماعتهم من الكفار واليهود لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء[٥٧]، كما جاء

في الذكر الحكيم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة:١٤) ؛ لذلك نفى الله تعالى عنهم الإيمان أي ما انتحلوا إثباته[٥٨] بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٨).

هؤلاء هم المنافقون الذين ظنوا إنهم يخدعون - بفعلتهم هذه - الرسول باعتبارهِ الناطق بالحق عن الله تعالى والمؤمنين ، وهؤلاء المخادعون يظنون إنهم يخادعون الله فكيف يخدعونه؟[٥٩] اللهَ تعالى وهو العالم بكلِّ شيءٍ لا تخفى عنهُ صغيرةٌ ولا كبيرةٌ ولو كانت بمقدارِ حبةِ خردلٍ ؟! فجاء الرَّد الالهي بأبهى صورةٍ بإنهم لا يخدعون إلا أنفسهم.

فجيء بأسلوب النفي والاستثناء لكشف حقيقتهم وزيف اعتقادهم[٦٠].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (البقرة:٩٩)

واجه القرآن الكريم أفعال اليهود وفضائحهم وتكذيبهم لما جاء به النبي محمد -عليه الصلاة والسلام وعلى آله وسلم- من الآيات الواضحات والمعجزات الدالة على نبوته وواجب التصديق به والايمان لما نطق به و وهو الحق، بحكم عظيم تذهل لهُ العقول حيث قرن تكذيبهم بالكفر وأثبت لهم الفسوق في العقائد ودلَّ بالفسق هنا عن الكفر[٦١] وذلك ((إِذَا اسْتُعْمِلَ الْفِسْقُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، وَقَعَ عَلَى أَعْظَمِهِ مِنْ كُفْرٍ أَوْ غَيْرِهِ))[٦٢].

فجيء بأسلوب النفي والاستثناء بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ لكسر شوكة الفرقة من اليهود التي أرادت أن تطفئ نور القرآن الكريم بتكذيبهم إياه، حيث أثبت لهم الفسق فيما يدعون عن طريق الاستثناء ، والاستثناء هنا مفرغ ((إِذْ تَقْدِيرُهُ: وَمَا يَكْفُرُ بِهَا أَحَدٌ، فَنَفَى أَنْ يَكْفُرَ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ أَحَدٌ. ثُمَّ اسْتَثْنَى الْفُسَّاقَ مِنْ أَحَدٍ، وَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِهَا.))[٦٣].

المحور الثالث: الإثبات بأداة النفي (إن) والاستثناء بـ(إلا)

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الانعام:٢٦).

جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن صفات المشركين وكيف كانوا ينصبون العداء للرسول الاعظم ويتبعون شتى الطرق لدحض واطفاء الرسالة المحمدية ، فهؤلاء لم يكتفوا

بعدم الايمان به بل كانوا ينهون الناس عن أتباع الرسول محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ويبعدون الناس عنه ، ولكن الله تعالى متم نوره ولو كره المشركون[٦٤].

فجاء حكم هؤلاء بالهلاك وحصره بأنفسهم بأسلوب النفي والاستثناء فالهلاك دائر بهم وإن يهلكون، أي ما يهلكون نفى الهلاك (((إِنْ) نَافِيَةٌ أَيْ وَمَا يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِإِصْرَارِهِمْ على الكفر، وحملهم أوزار الذين يصدونهم))[٦٥].

الخاتمة:

بيَّن هذا البحث إنَّ ثمة فرقاً واضحاً بيَّن استعمال أسلوب الإثبات أو استعمال أسلوب النفي كلاً على حدى وبيَّن الجمع بينهما بدلالة الإثبات بنفي الاستثناء في أسلوب واحد وهو (الإثبات بنفي الاستثناء) حيث وجود النفي في الكلام يستلزم - حسب هذا الأسلوب- تحويل الكلام من النفي إلى الإثبات؛ وذلك لعدة أغراض بلاغية تستدعي توظيف هذا الأسلوب عوض عن أسلوب الإثبات مباشرة ومنها: لقصد الإثبات وتخصيص المعنى بنفي غيره؛ ولشد انتباه المتلقي، وهو أبلغ وأكثر قوة في إثبات الكلام في ذهن المخاطب بالانتقال من نفي الشيء بإثبات ضده ،للزجر والتقريع ،والتذكير.

ويتصل أسلوب الإثبات بنفي الاستثناء بالمفهوم اللغوي والاصطلاحي للاستثناء وهذا الرابط ينبع من كون المستثنى غير داخل في حكم المستثنى منه وفي النفي أو الإثبات فكمه مغاير تماماً وهذا ما أجمع عليه جمهور النحاة.

ويتضح أسلوب الإثبات بنفي الاستثناء في كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهي خير دليل لنفي الألوهية عمَّا سواه وإثباتها لله تعالى؛ لو كانت كلمة التوحيد نفي بدون إثبات لما كانت كلمة توحيد لوجود إثبات الغير وهذا لا ينطبق على إثبات الوحدانية بنفي الشريك.

هوامش البحث

(١) -(ذكر السيوطي أن الحصر والقصر بمعنى واحد وهو تَخصيصُ أَمْرٍ بآخر بطريقٍ مَخصوصٍ وَيُقَال أيضًا إِثْبَات الْحكم للمذْكورِ ونَفْيه عمَّا عداهُ) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١٦٦/٣،ينظر: رسالة ماجستير القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم لنجاح أحمد الظهار جامعة أم القرى /المملكة العربية السعودية: ١٨

(٢) ينظر: ابن منظور لسان العرب: ١١٥/١٤،مادة: ثني.

(٣)- المصدر السابق: ١١٥/١٤-١١٦.

(٤) - أدوات الاستثناء: (الحرف إلا ، والاسماء غير و سوى ، والافعال خلا عدا وحاشا).

(٥) - ينظر: سيبويه الكتاب: ٣٠٩/٢،المبرد المقتضب: ٣٨٩/٤. ابن السراج الاصول في النحو: ٢٨١/١.

(٦) - ابن يعيش شرح مفصل لابن يعيش: ٤٦/٢.

(٧) - اللمع في العربية لابن جني: ٦٦/١.

(٨) - شرح التسهيل لابن مالك: ٢٦٤/٢.

(٩) - ينظر: السيوطي: همع الهوامع: ٢٦٨/٢

(١٠) - ينظر: سيبويه الكتاب: ٣٠٩/٢، المبرد المقتضب: ٣٨٩/٤،ابن السراج الاصول في النحو: ٢٨١/١، ابن جني اللمع في العربية: ٦٦/١.

(١١) - شرح كتاب سيبويه للرماني: ٥٦١.

(١٢) - تفسير الطبري: ٢٧٦/١.

(١٣) - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ١٧٥/١٠

(١٤) - ينظر: الاحكام: الآمدي: ٣٠٨/٢ ، الاستغناء في الاستثناء للقرافي: ١٢٦.

(١٥) - المحصول للرازي: ٣٩/٣

(١٦) - ينظر: الاحكام للآمدي: ٣٠٨/٢، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي: ٣٥٤/٢،والاستغناء في الاستثناء للقرافي: ٤٥٥، إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني: ٤٩٣/١.

(١٧) - ينظر: البحر المحيط: ٦٠٦/٢-٦٠٧،تفسير القرطبي: ٢٦٨/٣.

(١٨) - ذكر أغلب المفسرين الروايات التي خصت هذه الآية منهم القرطبي ((رُوِيَ عَنْ مُحَمَّد ابْنِ الْحَنَفِيَّة أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ خَرَّ كُلُّ صَنَم فِي الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ خَرَّ كُلُّ مَلِك فِي الدنيا وسقطت التيجان عن رؤوسهم، وَهَرَبَت الشَّيَاطِينُ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض «١□ إِلَى أَنْ أَتَوْا إِبْلِيسَ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِكَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْحَثُوا عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَة فَبَلَغَهُمْ أَنَّ آيَةَ الْكُرْسِيِّ قَدْ نَزَلَتْ.... زَادَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبُو عَبْد اللَّه: " فو الذي نَفْسِي بِيَدِه إِنَّ لِهَذِه الْآيَة لَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ". قَالَ أَبُو عَبْد اللَّه: فَهَذِه آيَةٌ أَنْزَلَهَا اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ، وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِقَارِئِهَا عَاجِلًا وَآجِلًا، فَأَمَّا فِي الْعَاجِلِ فَهِيَ حَارِسَةٌ لِمَنْ قَرَأَهَا مِنَ الْآفَاتِ،.....)) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٦٨/٣،الدر المنثور للسيوطي: ٥/٢.

(١٩) - ينظر: البحر المحيط: ٦٠٧/٢.

(٢٠) - ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٥ ،رسالة ماجستير القصر و أساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الاول من القرآن الكريم: ١٠٤.

(٢١) - بحر العلوم للسمرقندي: ١٦٧/١.

(٢٢) - ينظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٥ ،رسالة ماجستير القصر و أساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الاول من القرآن الكريم: ١٠٣.

(٢٣) - البحر المحيط: ٧٥/٢.

(٢٤) - شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: ٥٠٤/١.

(٢٥) - معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي: ٢-٤٨٦.

(٢٦) - روح البيان لإسماعيل حقي أبو الفداء: ٤٥٤/٩-٤٥٥.

(٢٧) - ينظر: روح المعاني لأبي الثناء الألوسي: ١١٥/١٣.

(٢٨) - تفسير القشيري لعبد الكريم القشيري: ٣٨١/٣.

(٢٩) - ينظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٢، تفسير المنير للزحيلي: ٢٠٨/٢٥.

(٣٠) - ينظر: العقد المنظوم في الخصوص والعموم للقرافي: ٢٢٦/٢،المهذب في علم أصول الفقه المقارن لعبد الكريم نملة: ١٧٨٩/٤

(٣١) - ينظر: البحر المحيط: ٧٥/٢-٧٦.

(٣٢) - ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/١-٤٩٤، الدر المنثور للسيوطي: ١٢١/١، تفسير ابن عطية: ١٢١/١

(٣٣) - ينظر: تفسير الطبري: ١/ ٤٩٥

(٣٤) -((إِلَّا أَمانِيَّ جمع- أمنية- وأصلها- أمنونة أفعولة وهو في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من- منى- إذا قدر، ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ، والمروي عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم أن- الأماني- هنا- الأكاذيب- أي إلا أكاذيب أخذوها تقليدا من شياطينهم المحرفين... وقيل: إلا ما هم عليه من أمانيهم أن الله تعالى يعفو عنهم ويرحمهم، ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وقيل إلا مواعيد مجردة سمعوها من أحبارهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا، وأن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة- واختاره أبو مسلم..))روح المعاني/ ٣٠٢/١

(٣٥) - ينظر: تفسير الطبري: ٢٦٢/٢.

(٣٦) - ينظر: البحر المحيط: ١/ ٤٥٦، رسالة ماجستير : القصر وأساليبه مع بيان أسرارها: ٨٨.

(٣٧) - تفسير القرطبي: ٤٠٨/٦.

(٣٨) - ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٢/٢،بحر العلوم للسمرقندي: ٢٢٤/١.

(٣٩) - البحر المحيط: ٣٣٦/٣.

(٤٠) - ينظر: الكشاف للزمخشري: ٤٢١/١.

(٤١) - ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم بن مالك: ١٥٥.

(٤٢) - ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر السعد شرح تلخيص المفتاح لمحمد الدسوقي المالكي: ٣٧٨.

(٤٣) - ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي: ٢٨٩/١ ، وينظر: روح المعاني للألوسي: ٢٨٧/٢، وإلى نفس المعنى ذهب أبو الطيب القنَّوجي صاحب فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٤٥/٢: ((والقصر قصر أفراد كأنهم استبعدوا هلاكه فأثبتوا له صفتين الرسالة.....)).

(٤٤) - ينظر: تفسير الطبري: ٤٨٤/١٠، مفاتيح الغيب للرازي: ٤٠٩/١٢.

(٤٥)- ينظر: الكشاف للزمخشري: ٦٦٥/١، مفاتيح الغيب: ٤١٠/١٢.

(٤٦) -الكشاف: ٦٦٤/١.

(٤٧) - ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للدكتور صباح عبيد دراز: ٩٢.

(٤٨) - ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية للدكتور صباح عبيد دراز: ٩٣.

(٤٩) - ينظر: تفسير الطبري: ٩٥/١١.

(٥٠) - الكشاف: ٦٨٢/١، وينظر تفسير أي السعود: ٨٣/٣.

(٥١) - ينظر: رسالة ماجستير القصر وأساليبه مع بيان إسراراها في الثلث الاول من القرآن: ١٥٣.

(٥٢) - مفاتيح الغيب: ٤٤٢/١٢.

(٥٣) - ينقسم المشركون إلى العديد من الأقسام في أمر البعث والحياة مرة أخرى، كما صنفهم القرطبي في تفسيره بقوله: ((وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ أَصْنَافًا، مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُثْبِتُ الصَّانِعَ وَيُنْكِرُ الْبَعْثَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَشُكُّ فِي الْبَعْثِ وَلَا يَقْطَعُ بِإِنْكَارِهِ. وَحَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ أَقْوَامٌ لَيْسَ يُمْكِنُهُمْ إِنْكَارُ الْبَعْثِ خَوْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَتَأَوَّلُونَ وَيَرَوْنَ الْقِيَامَةَ مَوْتَ الْبَدَنِ، وَيَرَوْنَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ إِلَى خَيَالَاتٍ تَقَعُ لِلْأَرْوَاحِ بِزَعْمِهِمْ، فَشَرُّ هَؤُلَاءِ أَضَرُّ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْكُفَّارِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يُلَبِّسُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُغْتَرُّ بِتَلْبِيسِهِمُ الظَّاهِرِ. وَالْمُشْرِكُ الْمُجَاهِرُ بِشِرْكِهِ يَحْذَرُهُ الْمُسْلِمُ. وَقِيلَ: نَمُوتُ وَنَحْيَا آثَارُنَا، فَهَذِهِ حَيَاةُ الذِّكْرِ. وَقِيلَ أَشَارُوا إِلَى التَّنَاسُخِ، أَيْ يَمُوتُ الرَّجُلُ فَتُجْعَلُ رُوحُهُ فِي موات فتحيا به.))تفسير القرطبي: ١٧٢/١٦.

(٥٤) - ينظر: أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: ١٤٨.

(٥٥) - ينظر: تفسير أبي السعود: ٧٣/٨.

(٥٦) - الكشاف: ٢٩٣/٤.

(٥٧) - ينظر: تفسير الطبري: ١/ ٢٧٢، الكشاف: ٥٤/١

(٥٨) - ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٤/١

(٥٩) - معنى الخداع تناوله اكثر المفسرين منهم صاحب المحيط: ((الْخِدَاعُ: قِيلَ إِظْهَارُ غَيْرِ مَا فِي النَّفْسِ، وَأَصْلُهُ الْإِخْفَاءُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْبَيْتُ الْمُفْرَدُ فِي الْمَنْزِلِ مَخْدَعًا لِتَسَتُّرِ أَهْلِ صَاحِبِ الْمَنْزِلِ فيه، وَمِنْهُ الْأَخْدَعَانِ: وَهُمَا الْعِرْقَانِ الْمُسْتَبْطَنَانِ فِي الْعُنُقِ، وَسُمِّيَ الدَّهْرُ خَادِعًا لِمَا يُخْفِي مِنْ غَوَائِلِهِ، وَقِيلَ الْخَدْعُ أَنْ يُوهِمَ صَاحِبَهُ خِلَافَ مَا يُرِيدُ بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ...)) البحر المحيط: ٨٦/١.

(٦٠) - ينظر: تفسيرَ الطبري: ١/ ٢٧٦.
(٦١) - ينظر: البحر المحيط: ٥١٨/١،تفسير أبو سعود: ١/ ١٣٥
(٦٢) - البحر المحيط: ٥١٨/١
(٦٣) - المصدر السابق: ٥١٨/١
(٦٤) - ينظر: تفسير الطبري: ٣١٢/١١-٣١٣،تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٤٧
(٦٥) - تفسير القرطبي: ٤٠٨/٦.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢- الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ.

٣- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤- أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، الدكتور صباح عبيد دراز، الطبعة: الاولى، ١٩٨٦م.

٥- الاستغناء في الاستثناء، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

٦- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.

٧- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).

٨- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٩- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

١٠- تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١١- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢-تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

١٣-تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٤-تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

١٥-تفسير القشيري(لطائف الإشارات)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الطبعة: الثالثة.

١٦-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر (دمشق - سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٧- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، (ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني)، محمد بن عرفة الدسوقي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

١٨- حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٩-الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢٠-روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (ت٩٠٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٣-شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٤-شرح تسهيل الفوائد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٢٥- العقد المنظوم في الخصوص والعموم، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (٦٢٦ - ٦٨٢ هـ)، دراسة وتحقيق: د. أحمد الختم عبد الله، أصل التحقيق: رسالة دكتوراه في أصول الفقه - جامعة أم القرى، الناشر: المكتبة المكية، دار الكتبي - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٦- القصر وأساليبه مع بيان أسرارها في الثلث الأول من القرآن الكريم، نجاح أحمد الظهار رسالة ماجستير، جامعة أم القرى /المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢-١٩٨٣م.

٢٧- الكتاب لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٨-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٢٩-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٣٠-اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، المحقق: فائز فارس، الناشر: دار الكتب الثقافية - الكويت.

٣١-المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣٢-معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٣- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٣٤-مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٥-المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، الناشر: عالم الكتب. - بيروت.

٣٦- المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٣٧- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.